الكاتدرائيَّة المرقسيَّة بالإسكندريَّة
الأحد ١ ديسمبر ٢٠١٤م

عبادتُنا اللِّيتورجيَّة هي ترتيلُ عقائِدنا الإيمانيَّة

المحاضرة السَّادسة

الراهب أثناسيوس المقاري

(٨)
الفداء بموت الصَّليب في النُّصوص اللِّيتورجيَّة

القُدَّاس الباسيلي ....

- ''لأنك أنت هو **ذبيحة المساء** الحقيقيَّة الذي **أصعدت ذاتك من أجل خطايانا على الصَّليب المكرَّم، كإرادة أبيك الصَّالح**'' (سرّ بخور عشيَّة).
- ''هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على **الصَّليب** عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجلة''.
- ''الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، **هدمته**''.
- ''هذا الذي **أحب خاصته الذين في العالم، وسلم ذاته فداءً عنَّا**[١]، إلى (حد) الموت الذي تملك علينا، هذا الذي كنَّا ممسكين به، مبيعين من قِبَل خطايانا''.
- ''لأنه **فيما هو راسم، أن يُسلِّم نفسه للموت عن حياة العالم**''.
- ''لأنَّ كلَّ مرَّة تأكلون من هذا الخُبز، وتشربون من هذه الكأس، **تبشِّرون بموتي**''.
- ''آمين آمين آمين **بموتك ياربُّ نبشِّر**''.
- ''أنت الآن يا سيِّدُنا الذي نرفع عيونَ قلوبنا إليك، أيها الرَّبُّ الغافر آثامَنا، **ومُخلِّص نفوسَنا من الفســـاد**'' (صلاة خضوع للابن).
- ''**اعترفنا بآلامه المخلِّصة، بشَّرنا بموته، آمنَّا بقيامته، وكمُل السِّر**''.
- ''هذه (الكنيسة) التي اقتنيتها لك **بالدَّم الكريم الذي لمسيحك**''.
- ''الذي **أعطانا الخلاص من خطايانا بابنه الوحيد** يسوع المسيح ربِّنا، حياة كلِّ أحد''.
- ''**وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي، تألَّم وقُبر**'' (قانون الإيمان).
- ''**أسلمه عنَّا**[٢] (أي الجسد المحيي الذي ليسوع المسيح ربِّنا) **على خشبة الصَّليب المقدَّسة بإرادته وحده عنَّا كلِّنا**''.

القُدَّاس الغريغوري ....

- ''أنت يا سيِّدي **حوَّلت لي العقوبة خلاصاً**. كراع صالح، سعيت في طلب الضَّال. كأب حقيقي، تعبتَ معـــي أنـــا الذي سقط. ربطني بكلِّ الأدوية المؤدِّية إلى الحياة. أنت الذي **خدمت لي الخلاص لمَّا خالفتُ ناموســـك**، كنـــور حقيقي أشرقت للضَّالين وغير العارفين''.
- ''**أتيت إلى الذَّبح مثل خروف حتى إلى الصَّليب ... قتلت خطيئتي بقبرك**''.
- ''**يا الله الذي أسلم ذاته عنَّا خلاصاً من أجل خطايانا**''.
- ''أيها الكائن الذي كان، الذي أتى وأيضاً يأتي، الذي تجسَّد وتأنَّس **وصُلب على الصَّليب من أجلنا**. تألَّم بإرادتـــه بالجسد، وكان غيرَ متألِّم كإله ...''.

١- النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي يذكر هنا: ''وبذل ذاته فدية للموت الذي تملَّك علينا''.
والنَّص القبطي للقُدَّاس الباسيلي يقول: **ⲁϥⲧⲏⲓϥ ⲙ̀ⲙⲓⲛ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲛ̀ⲥⲱϯ ϧⲁⲣⲟⲛ** أي: ''وسلَّم ذاته فداءً (خلاصاً) عنَّا أو (مـــن أجلنـــا)''. ذلك لأنَّ **ϧⲁ** تعني: ''عن – بشأن – بخصوص – لأجل''.
انظر قاموس معوَّض داود عبد النُّور، ٢٠٠٠م، ص ٦٢٦

٢- النَّص اليوناني يعني: ''وأسلمه لأجلنا جميعاً ὑπὲρ ἡμῶν πάντων على خشبة الصَّليب المقدَّس بإرادته''.
والنَّص القبطي يقول: **Ⲁϥⲧⲏⲓⲥ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ** أي: ''أسلمه عنَّا أو (لأجلنا) ...''. ذلك لأنَّ **ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ** تعني: ''عنَّـــا – بســـببنا – لأجلنا''.
انظر قاموس معوض داود عبد النُّور، مرجع سابق، ص ٥٠

القُدَّاس الكيرلُّسي .....

- ''**بذلت ابنك الحبيب عن حياتنا وخلاصنا**''.
- ''لانَّ ابنك الوحيد ربَّنا وإلهنا ومخلِّصَنا وملكنا كلّنا يسوع المسيح، **في اللَّيلة التي أَسلم ذاته فيها ليتألَّم عن خطايانا، والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنَّا كلِّنا ...**''.
- ''**المخافة من أجل الذي تألَّم بالجسد عنَّا وأقام غلبة الصَّليب** ... ليهرب عنَّا ... المجد الباطل من أجل **الذي لُطم وجُلد من أجلنا**، و لم يرُد وجهَه عن خزي البُصاق. الحسد والقتل والافتراق والبُغضة من أجل حمل الله حامل خطيئة العالم. الغضب وتذكار الشَّر من أجل الذي سمَّر كتاب يد خطايانا في الصَّليب''.

صلوات القسمة .....

- ''الصَّوم والصَّلاة هما اللَّذان عمل بهما الشُّهداء حتى سفكوا دماءهم من أجل اسم **المسيح الذي اعترف الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطي**''.
- ''أنت الذي إشعياء النَّبي تنبأ من أجلك قائلاً: «**مثل خروف سيق إلى الذَّبح، ومثل حمل بلا صوت أمام الذي يجزَّهُ، هكذا لم يفتح فاه**، رُفع حُكمه في تواضعه، وجيله من يقدر أن يقُصَّه». **جُرحت لأجل خطايانا، وتوجَّعت لأجل آثامنا، تأديبُ سلامنا عليك، وبجراحاتك شُفينا**. كنَّا كلُّنا ضالين مثلَ خراف، أتيتَ يا سيِّدَنا، وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقيَّة، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدِك الإلهي ودمِك الحقيقي''.
- ''**الذي صُلب على الصَّليب، وسحق الشيطان، ووُضع في القبر**. وبعد ثلاثة أيام قام من بين الأموات''.
- ''هكذا **بالحقيقة تألَّم كلمة الله بالجسد، وذبح، وانحنى بالصَّليب**''.
- ''**وطُعن في جنبه بالحربة، وجرى منه دم وماء غفراناً لكلِّ العالم. وتخضَّب بهما جسدَه** ... وعوض الخطيئة المحيطة بالعالم مات الابنُ بالصَّليب، وردَّنا من التَّدبير الشَّمالي إلى اليميني، وأمَّن بدم صليبه، ووحَّد وألَّف السَّمائيِّين مع الأرضيِّين، والشَّعب مع الشُّعوبِ والنَّفْس مع الجسد''.
- ''**أنت هو المسيح إلهُنا الذي طُعن في جنبه فوق الجلجلة بأورشليم لأجلنا**''.

انظر للأهميَّة: رومية ٥:١٢-١٩

* * *

قضيَّة موت المسيح "عنَّا" أو "عوضاً عنَّا" أو "من أجلنا"!

الذي يحل هذه القضيَّة ويجعل من جميع التَّعبيرات السَّابق أو الآتي ذكرها تعبيرات صحيحة من الوجهة الإيمانيَّة، هو نقطة واحدة فاصلة، سبق أن ذكرتها عند الحديث عن التَّجسُّد الإلهي، وهي أنَّ المسيح تجسَّد، **ليجمع كلَّ شيء في نفسه، ويصير الجميع واحداً في المسيح**. وأكرِّر هنا قولاً سبق ذكره للقدِّيس كيرلُّس الكبير، حيث يقول:

[لقد حلَّ الكلمة في الجميع بحلوله في هيكل جسده الواحد المأخوذ منَّا ولأجلنا، **حتى يقتني الجميع في نفسه، فيُصالح الكُل في جسد واحد مع الآب، كما قال بولس** (أفسس ٢: ١٦)] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٤:١).

يقول إغناطيوس الشَّهيد:

[يسوعُ المسيح الذي مات لأجلكم، والذي إذا آمنتم بموته، تخلُصون من الموت] (ترالیان ٢).

[إن احتملتم شدائدكم لأجله، فلابد أن تصلوا إليه] (أزمير ٩).

[إذا لم نختر بملء حريتِّنا أن نموت معه لنشترك في آلامه، فحياته ليست فينا] (مغنيسيا ٥).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[وهكذا إذ **أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتها**، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، **فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدَّمه للآب**. كلُّ هذا فعله شفقة منه علينا. وذلك (أولاً) **لكي يُبطل الناموس الذي كان يقضي بهلاك البشر**، **إذ مات الكُل فيه**، لأنَّ سُلطان الموت قد أُكمل في جسد الرَّب، ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين ناب عنهم. (ثانياً) **لكي يعيد البشر على عدم الفساد** بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، ويبيد الموت منهم كما تبيد النَّار القش] (تجسد الكلمة ٤:٨).

[إذ رأى "الكلمة" أنَّ فساد البشريَّة لا يمكن أن يُبطَل إلاَّ بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمَّل "الكلمة" الموت لأنه غير مائت بسبب أنه ابنُ الآب، **لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت**، حتى باتحاده "بالكلمة"، الذي هو فوق الكُل، يكون جديراً أن **يموت نيابة عن الكُل**، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحلَّ فيه، وحتى **يتحرَّر الجميع من الفساد منذ ذلك الحين فصاعداً**، بنعمة القيامة من بين الأموات. وإذ قدَّم للموت ذلك الجسد الذي أخذه لنفسه، كمحرَقة وذبيحة خالية من كلِّ شائبة، فقد رَفع حُكمَ الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم، إذ قدَّم عوضاً عنهم **جسداً مماثلاً لأجسادهم**.

ولأن كلمة الله متعال فوق الكُل، فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفي الدَّين بموته، وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشريَّة لأجل حياة الجميع. **وإذ اتحد ابن الله عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة**[٣]، **فقد ألبس الجميع عدم الفساد، بطبيعة الحال، بوعد القيامة من الأموات**. لأنه لم يعد ممكناً أن ينشب فساد الموت الفعلي، أظفاره في البشر، وذلك بسبب "الكلمة" الذي جاء وحل بينهم بجسده الواحد] (تجسد الكلمة ١:٩، ٢).

[وهذه كلُّها يمكن للمرء أن يتحقَّقها من كَتَبَة الإنجيل، الذين كتبوا بإلهام الرُّوح القُدُس، إذا اطلع على كتاباتهم التي فيها يقولون «لأنَّ محبة المسيح تحصرنا إذ نحن نحسب هذا، أنه **إن كان واحدٌ قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا**. وهو مات لأجل الجميع كي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا، بل للذي **مات لأجلنا** وقام»[٤] ... «ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت **لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كلِّ واحد**»[٥]] (تجسد الكلمة ٢:١٠).

[لأنه جعل حتى الخليقة تخرج عن صمتها. أليس مدهشاً أن تذكر (الكُتُب) أنه حتى في موته، أو بالحري في انتصاره الفعلي في الموت، أعني في الصَّليب، اعترفت كلُّ الخليقة بأنَّ من ظهر وتألم في الجسد لم يكن مجرَّد إنسان بل ابن الله ومُخلِّص الكُل؟ فالشَّمس أخفت وجهها، والأرض تزلزلت، والجبال تشققت، وسادت كلُّ البشر رهبة شديدة. كلُّ هذه الأمور بيَّنت أنَّ المسيح الذي على الصَّليب هو الله، **إذ صارت كلُّ الخليقة خاضعة له خضوع العبيد**، وشهدت برُعبها وفزعها لحضور سيِّدها. وهكذا أعلن الله "الكلمة" نفسه وقتئذ للبشر بأعماله] (تجسد الكلمة ٣:١٩)[٦].

[ما دام الجسد قد اشترك في ذات الطَّبيعة مع الجميع لأنه كان جسداً بشرياً ... فكان لابد أن يموت أيضا كسائر البشر نظرائه، لأنه كان جسداً قابلاً للموت. ولكنه بفضل اتحاده "بالكلمة"، لم يعُد خاضعاً للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه.

٣ـ وهكذا باتخاذه جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم ... الخ.

٤ـ "كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام". ٢ كورنثوس ٥:١٤، ١٥

٥ـ عبرانيِّين ٢ : ٩

٦ـ إنَّ كتاب "تجسُّد الكلمة للبابا أثناسيوس الرَّسولي، يحوي ٥٧ فصلاً. وعند نهاية الفَصل التَّاسع عشر من الكتاب، يقول البابا أثناسيوس:
[إنَّ الخطوة التَّالية لنا في هذا البحث، هي أن نتأمَّل ونتحدَّث عن نهاية حياته بالجسد، وعن طبيعة موت جسده، سيَّما وأنه في هذا يتلخَّص إيمانُنا، وهذا هو الشُّغل الشَّاغل لأفكار الجميع بلا استثناء، حتى يتَّضح لك يقيناً أنَّ المسيح هو الله وابن الله] (تجسد الكلمة ٤:١٩).

وهكذا تم عملان عجيبان في الحال: أوَّلهما إتمام موت الجميع في جسد الرَّب. والثاني القضاء على المـوت والفساد كُلِّيَّة بفضل اتحاد الكلمة بالجسد. لأنه كان لابد من الموت، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع، لكي يوفي الدَّين المستحَق على الجميع.

ولمَّا كان مستحيلاً أن يموت "الكلمة" لأنه غير قابل للموت، فقد أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، حتى يمكن أن يقدِّمه كجسده نيابة عن الجميع، وحتى إذا ما تألم نيابة عن الجميع باتحاده بالجسد «يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعـاً كـلَّ حيـاتهم تحـت العبودية»[٧] (تجسد الكلمة ٢٠:٤-٦).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[«وأتوا إلى موضع يُقال له جلجثة، وهو المسمَّى موضع **الجمجمة**...» (متى ٢٧:٣٣). لم يتألَّم في مكـان آخر، ولا صُلِب إلاَّ في موضع الجمجمة، حيث يوجد قَبْرُ آدم، بحسب ما يقول معلِّمو العبرانيِّين. إذ يؤكِّدون أنه دُفن فيه من بعد اللَّعنة. فإن كان الأمر هكذا، فأنا متعجِّب من مناسبة هذا الموضع! فإنه كان يتحتَّم أنَّ الرَّب – وهو يُريد أن يُجدِّد آدم الأوَّل – يتألم في ذلك الموضع، حتى ينقض خطيئة آدم، وبالتَّالي يرفعها عن سائر جنسه. وحيث أنَّ آدم سمع: «**أنت تُراب وإلى تُراب تعود**»، فبسبب ذلك وُضع الرَّب في هذا الموضع، ليفتقد آدم وينقض اللَّعنة، وبدلاً من «أنت تُراب وإلى التُّراب تعود»، يقول له: «استيقظ أيها النَّائم وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح» (أفسس ٥:١٤). وأيضاً: «قُمْ وتعالَ اتبعني»، لكي لا تبقى مطروحـاً علـى الأرض، بل تصعد معي إلى السَّماء. **فإنه كان ينبغي عندما يقوم المخلِّص، أن يُقام معه آدم وسائر الـذين خرجوا من آدم**] (عظة عن آلام الرَّب وصلبه).

ويوجز البابا أثناسيوس الأمر بقوله:

[جاء لكي يتألَّم بالجسد فيصير بالتَّالي الجسد فائقاً للألم وللموت. لقد جاء لكي يأخذ على نفسه المذلة وبقيَّة الشُّرور، لئلاَّ تقع على النَّاس فيما بعد، بل تبطل نهائيًّا بواسطته. وأيضاً لكي يدوم النَّاس فيما بعد غير فاسدين إلى الأبد، إذ صاروا هياكل للكلمة][٨].

لماذا كان يتحتَّم أن يموت الرَّب بالجسد، مصلوباً وعلانية؟

يلخِّص البابا أثناسيوس الإجابة عن هذا السؤال في البنود التَّالية:

- لو أسلم الرَّبُّ جسده على فراش في مكان ما سرًّا، كعادة البشر، لاعتُبر بأنه فعل ذلك عن ضعف. ولكنَّه هو قوَّة الله.
- لم يكن لائقاً أن يسبق المرض موته، لئلاَّ يُنسب الضَّعف لذاك الذي كان في الجسد.
- إنه لكي يتم حُكم الموت فيه نيابة عن الجميع، كان لابد أن يكون هذا بمرأى من الجميع.
- لم يسع إلى الطَّريقة التي يُقدِّم بها ذبيحته عن الآخرين، بل قبلها من أيدي الآخرين[٩].
- لو كان موت جسده قد تمَّ سرًّا في أيِّ مكان، لكانت قيامته قد اختفت، ولم يقُم لها دليل.
- صار الموت الذي اختاروه له مبالغة في تحقيره، صار هو بالذَّات علامةً للانتصار على الموت نفسه، إذ حُفظ جسده سليماً.
- كيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يُصلب؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاَّ على الصَّليب.

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لعلَّ متسائلاً يقول: إن كان لابد له أن يُسلِّم جسده للموت نيابة عن الجميع، فلماذا لم يضع هـذا الجسـد

٧- عبرانيِّين ٢:١٤، ١٥

٨- ضد الأريوسيِّين ٣:٥٨ *N.P.N.F.* 425

٩- «كشاة سيق إلى الذبح، وكخروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه» (إشعياء ٥٣:٧).

كأي إنسان سراً بدلاً من أن يشهِّر به إلى هذا الحد ويموت مصلوباً؟ إنه كان أكثر لياقة أن يسلِّم جسده بكرامة ووقار من أن يحتمل موتاً مُشيناً كهذا.

ورداً على هذا أقول: إنَّ اعتراضاً كهذا، لا يمكن إلاَّ أن يكون بشرياً، بينما ما فعله المُخلِّص هو إلهيٌّ حقاً، ولائق بلاهوته. وذلك لأسباب كثيرة. **أوَّلاً**: إنَّ الموت الذي يصيب البشر، يأتيهم لأنه يتناسب مع ضعف طبيعتهم. فإنهم إذاً لا يستطيعون البقاء على حال واحدة، لكنَّهم ينحلُّون مع الزَّمَن. بسبب هذا أيضاً تنتابهم الأمراض ثم يموتون. أمَّا الرَّب، فإنه ليس ضعيفاً، بل هو قوَّة الله، وكلمة الله، وهو الحياة عينها.

ولو أنه أسلم جسده في مكان ما سراً، وعلى فراش كعادة البشر، لأُعتبر بأنه فعل ذلك أيضاً نظراً لضعف طبيعته، ولأنه لم يكن فيه ما يميِّزه عن سائر البشر. أمَّا وأنه **أوَّلاً** كان الحياة وكلمة الله، **وثانياً كان من الضَّروري أن يتم حُكم الموت نيابة عن الجميع**، لهذا نال الجسد منه قوَّة لأنه هو القوَّة، وهو الحياة.

هذا من جهة، ومن الجهة الأُخرى، فما دام الموت لابد أن يتم، فإنه **لم يسع بنفسه إلى الفرصة التي بها يتمِّم ذبيحته، بل قبلها من أيدي الآخرين**. لأنه لم يكن لائقاً أن يرقد الرَّب في فراش المرض وهو الذي شفى أمراض الآخرين، و لم يكن لائقاً أن تنحل قوَّة ذلك الجسد الذي به قوَّى ضعفات الآخرين.

ولماذا لم يتجنب الموت كما تجنب المرض؟ ذلك لأنه لهذا اتخذ الجسد، **ولم يكن لائقاً أن يمنع الموت لئلا تمتنع القيامة أيضاً**. كما أنه **لم يكن لائقاً أن يسبق المرض موته لئلا يُنسب الضَّعف لذاك الذي كان في الجسد**. ولكن ألم يكابد الجوع؟ نعم إنه جاع كما يليق بخواص جسده، على أنه (أي الجسد)، لم يُمت من الجوع من أجل الرَّب الذي لبسه. لهذا فإنه **وإن كان قد مات لفداء الجميع، لكنَّه لم ير فساداً، لأن جسده قام ثانية سليماً جداً، إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة ذاتها**.

وفضلاً عن ذلك فإنَّ **المخلص لم يأت لكي يتمِّم موته هو، بل موت البشر** لذلك لم يضع جسده بموت أتى به من نفسه[١٠] لأنه هو الحياة، و لم يكن قابلاً للموت، بل **قبل الموت الذي أتاه من البشر**، لكي يبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده] (تجسد الكلمة ٣:٢١-٧ ؛ ٣:٢٢).

[... فالموت لابد أن يسبق القيامة، لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها الموت. **ولو كان موت جسده قد تم سراً** في أي مكان، و لم يكن ظاهراً و لم يتم أمام شهود، **لكانت قيامته أيضا قد اختفت ولم يقُم لها دليل]** (تجسد الكلمة ١:٢٣).

[وهكذا تمَّ أمر عجيب ومدهش، لأنَّ الموت الذي اختاروه له، للمبالغة في تحقيره، كان بالذَّات علامة للانتصار على الموت نفسه. ولهذا لم يمت موت "يوحنَّا" بقطع رأسه وفصلها عن جسده، ولا مات موت "إشعياء" بنشر جسده وشطره نصفَين، **وذلك لكي يحفظ جسده سليماً غير مجزأ حتى في موته، ولكي لا تعطي حجَّة للذين يريدون أن يُقسِّموا الكنيسة**] (تجسد الكلمة ٤:٢٤).

[كان موت الرَّب قد صار كفَّارة عن الجميع، وبموته نقض حائط السِّياج المتوسِّط[١١]، وصارت الدَّعوة لجميع الأُمم، فكيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يُصلب؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاَّ على الصَّليب. لهذا **لاق بالرَّب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه، حتى باليد الواحدة يجتذب الشَّعب القديم، وبالأخرى يجتذب الذين هُم من الأمم، ويتَّحد الاثنان في شخصه**. وهذا هو ما قاله بنفسه، مشيراً إلى أية ميتة

---

(١٠) انظر يوحنَّا ١٠:١٧، ١٨

(١١) أفسس ٢ : ١٤

كان مزمعاً أن يفدي بها الجميع «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع»[١٢]] (تجسد الكلمة ٣:٢٥، ٤).

كيف صُلب إنسانُنا العتيق مع المسيح؟

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[ينبغي أن نبحث باهتمام ما هو إنسانُنا العتيق، وما هو جسد الخطيئة الذي يُبطَل، وبأيَّة كيفية صُلب مع المسيح؟ ... الرَّسول يقصد من ''جسد الخطيئة'' ومن ''إنساننا العتيق''، الجسد التُّرابي الذي له حتميَّة الفساد بحسب حالته القديمة التي في آدم. فقد حُكم علينا بذلك في آدم أوَّلاً، وتفاقم الدَّاء بمحبة الشَّهوات، لأنَّ هذه حالة الجسد بحسب طبعه من غرائزه المغروسة فيه.

فكيف إذاً صُلب مع المسيح؟ لقد صار الابن الوحيد إنساناً، واقتنى لنفسه الجسد التُّرابي الذي كان محكوماً عليه بالموت، كما قلتُ، بحسب حالته القديمة في آدم، والذي صار كأنه يتمخّض بسبب غرائزه المغروسة فيه بميل جارف للخطيئة. لكن ناموس الخطيئة انتفى في الجسد المقدّس كليِّ الطُّهر الذي للمسيح.

فنحن لا نقول قط إنَّ أية آلام بشريَّة مَعيبة كانت تتحرّك فيه، إلاَّ فقط ما لا لوم فيه، مثل الجوع والعطش والتَّعب وكلُّ ما يصنعه فينا ناموس الطَّبيعة بدون عيب. ومع أنَّ ناموس الخطيئة لم يتحرّك قط في المسيح بسبب تفوُّقه بقوَّة اللوغوس الذي كان يُدبِّره، **إلاَّ أنَّ طبيعة الجسد في حدِّ ذاتها، حتى حينما نعتبرها في المسيح، فإننا لا نجدها مختلفة عن طبيعتنا.**

ونحن قد صُلبنا معه لمّا صُلب جسده الذي كانت فيه كلُّ طبيعتنا، بمثل ما حدث في آدم أنه لمّا لُعن اعتلّت الطَّبيعة كلُّها باللّعنة. هكذا يُقال أيضاً إننا أُقمنا مع المسيح وأُجلسنا معه في السَّماويات. **لأنَّ عمانوئيل مع أنه يفوقنا كإله، لكن من حيث إنه صار مثلنا، فهو يُعتبر واحداً منّا، قد قام وصار جليساً مع الله الآب.**

هكذا أيضاً صُلب معه إنسانُنا العتيق، وانحلَّت بقيامته قوَّة اللعنة القديمة، و''بطُل جسد الخطيئة'' (رومية ٦:٦)، **ولا أعني الجسد بصفة مطلقة، ولكن الشَّهوات المغروسة فيه، التي كانت دائماً تُقلق الذِّهن بالأمور المخزية، وتلقيه في طين وحمأة الملذّات التُّرابية.**

وأمّا أنَّ هذه الأمور قد تحقَّقت في المسيح لصالح الطَّبيعة البشريَّة، فكيف يشك أحدٌ في ذلك بينما يقول القدِّيس بولس بوضوح: «ما كان النَّاموسِ عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولأجل الخطيئة، دان الخطيئة بالجسد» (رومية ٨: ٣).

أترى إذاً كيف بطُل جسد الخطيئة؟ لقد دينت في الجسد شوكة الخطيئة وماتت أولاً في المسيح، ثمَّ انتقلت διαβέβηκε هذه النِّعمة من خلاله، وبواسطته، إلينا أيضاً] (تفسير رومية ٦:٦).

معنى قول المسيح على الصَّليب: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[ماذا يقصد إذاً بقوله «إلهي إلهي لماذا تركتني؟» نقول: إنه لمَّا داس أبونا الأوَّل آدم الوصيَّةَ المعطاة له، وتغاضى عن النَّواميس الإلهيَّة، **قد "تُركت" الطَّبيعة البشريَّة بنوع ما من قِبَل الله**، بل وصارت بسبب ذلك ملعونةً ومستوجبةَ الموت. فلمّا سكن الكلمة ابنُ الله الوحيد الجسدَ المصاب ليُجدِّده، وأمسك بنسل إبراهيم وصار مشابهاً لإخوته (عبرانيِّين ٢: ١٦-١٧)، كان يجب أن يضع حدًّا لهذا ''**التَّرك**'' الذي أصاب الطَّبيعة البشريَّة، كما وضع حدًّا للّعنة القديمة وللفساد المندس فينا. **لذلك بصفته واحداً من المتروكين**، إذ قد اشترك معنا وماثلنا في اللَّحم

(١٢) يوحنا ١٢ : ٢٣

والدَّم، قال «لماذا تركتني؟».

فهذا قول شخصٍ يُبطلِ بالفعل التَّرك الذي أصابنا، ويستميلِ لنفسه الآب، داعياً رضاه علينـــا، **وكأنـــه يدعوه على نفسه هو أوَّلاً**. فقد صار المسيح لنا بدايةً ومصدراً لجميع الخيرات، وكلَّما قيل إنه ينال بصفته البشرية شيئاً من الآب، فذلك لكي يوصِّله لطبيعتنا نحن. **أمَّا هو في ذاته، فكامل ولا يُعوزه شيء قط، إذ أنه هو الله**] (عن الإيمان القويم للملكات).

(٩)

نزول المسيح إلى الجحيم وفتْح الفردوس
في النُّصوص اللِّيتورجيَّة وعند آباء الكنيسة

يذكر القدِّيس بطرس الرَّسول في رسالته الأولى، نصَّين أساسيَّين، حول هذا الموضوع:

النَّصُّ الأوَّل: «فإنَّ المسيح أيضاً تألَّمَ مرَّة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد، ولكن محيىً في الرُّوح، **الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السِّجن، إذ عصت قديماً**، حين كانت أناة الله تنتظر مرَّة في أيام نوح، إذ كان الفُلك يُبنى، الذي فيه خَلَصَ قليلون، أي ثماني أنفُس بالماء» (١بطرس ٣:١٨-٢٠).

النَّصُّ الثَّاني: «... الذين سوف يعطون حساباً للذي هو على استعداد أن يدين الأحياء والأموات، فإنه **لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً**، لكي يدانوا حسب النَّاس بالجسد، ولكن ليحيوا حسب الله بالرُّوح» (١بطرس ٤:٥-٦).

أي أنَّ نفْس المسيح قد ذهبت إلى السِّجن السُّفلي، أي إلى الجحيم، لإعلان الخلاص لجميع الرَّاقدين من الأجيال السَّابقة. والقدِّيس بطرس الرَّسول لم يوضِّح إن كان جميع هؤلاء قد خَلَصوا، أم بعضهم فقط. ولكن ما يعنيه القدِّيس بطرس هو أنَّ فداء المسيح كان عظيماً جدًّا، لدرجة أنه عُرض أيضاً على أولئك العصاة في الأجيال السَّابقة.

والآن سأتحدَّثُ معك قارئي العزيز، عن جانب من جوانب سرّ موت المسيح، وهو نزول المسيح إلى الجحيم بالصَّليب، ليكرز بالخلاص والعتق لكلِّ المأسورين فيه، والمقيَّدين بالأغلال الحديديَّة، والمُغلق عليهم خلف الأبواب النُّحاسيَّة، منذ آدم الإنسان الأوَّل، **ليعتق من يقبل كرازته بالخلاص والنَّجاة. ويُطلق إلى الحياة، الجالسين في الظُّلمة وظلال الموت، باستثناء الذين أحبّوا الظُّلمة أكثر من النُّور، لأنَّ أعمالهم كانت شريرة**، هؤلاء الذين رفضوا إشراقة نور الكلمة عليهم؛ مقتدياً في ذلك بنصوص الصَّلوات اللِّيتورجيَّة، وأيضاً بتعليم آباء الكنيسة، الذي هو مرساة مؤتَمَنة، تُعين عند الحاجة إلى تحسُّس سرِّ المسيح الذي لا يُستقصى.

نزول المسيح إلى الجحيم في نصوص الصَّلوات اللِّيتورجيَّة

القُدَّاس الباسيلي .....

- "**نزل إلى الجحيم من قِبَل الصَّليب**".
- "**فَتَح باب الفردوس، وردَّ آدم إلى رئاسته مرَّة أُخرى**".
- "**من قِبَل صليبه وقيامته المقدَّسة، ردَّ الإنسان مرَّة أُخرى إلى الفردوس**".
- "... لكي **المسيح إلهنا ينيِّح نفوسهم أجمعين في فردوس النَّعيم**" (إبروسة الشَّماس عن الرَّاقدين).

القُدَّاس الغريغوري .....

- "**أعطيت إطلاقاً للذين قُبض عليهم في الجحيم**".
- "**فتحت لي الفردوس لأتنعَّم**. وأعطيتني علم معرفتك. **أظهرت لي شجرة الحياة، وعرَّفتني شوكة الموت**".

صلوات القسمة .....

- "يا يسوع المسيح ذا الاسم المُخلِّص، **الذي بكثرة رحمته، نزل إلى الجحيم، وأبطل عزَّ الموت**".

- ''هذا هو **الذي نزل إلى الجحيم، وأبطل عزَّ الموت، وسبى سبياً، وأعطى النَّاس كرامات**''.
- ''أيها السيِّد الرَّب الإله ضابطَ الكُل، أبو ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، **الذي من قِبَل صليبه، نزل إلى الجحيم، وردَّ أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس**''.

• هناك عظة للبابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) تُقرأ في السَّاعة الثَّالثة من يوم الجُمعة العظيمة، نسمع فيها:

[إن لم يكن الرَّب قد شارك البشريَّة في آلامها، فكيف يخلُص الإنسان؟ لأنَّ الموت سقط تحت أقدام المسيح، والهزم وهو مسبي مضطَّرب، **والجحيم مع قوَّاته رجع إلى خلف لَّما سمع صوت الرَّب ينادي الأنفس قائلاً: اخرجوا من وثاقكم أيها الجالسون في الظُّلمة وظلال الموت، اخرجوا من وثاقكم، أنا أبشِّركم بالحياة، لأني أنا هو المسيح ابن الله الأبدي**].

• ثمَّ نسمع الطَّرح الذي تقرأه الكنيسة علينا في **السَّاعة التَّاسعة من يوم الجُمعة العظيمة**، وهو في غاية الأهميَّة من الوجهة اللاَّهوتيَّة، يقول:

''... **الله الكلمة بكماله، مضى إلى الجحيم بالنَّفْس التي أخذها من طبيعة آدم، وجعلها واحداً معه، والنُّفوس التي كانت في السِّجن، أصعدها معه كعظيم رحمته**، والعدو الأخير الذي هو الشَّيطان، قيَّده بالقيود والسَّلاسل. فلمَّا رآه البوَّابون الأشرار، والقوَّات الكائنة في الظُّلمة، هربوا، ولم يطيقوا الثُّبوت، لأنهم عرفوا قوَّته وكثرة جبروته. فكسَّر الأبواب النُّحاس بسُلطانه، والمتاريس الحديد سحقها، **وأمَّا المسبيُّون إذ رأوا الرَّب يسوع مخلِّص نفوسهم، صرخوا بصوت قائلين: 'حسناً جئتَ أيها المنقذ عبيده'. ثمَّ أمسك أوَّلاً بيد آدم، فاجتذبه وأصعده، وبنيه معه، وأدخلهم إلى الفردوس. مسكن الفرح والرَّاحة**''.

• وهناك عظة للقدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم، تُقرأ في **السَّاعة الثَّانية عشرة من يوم الجُمعة العظيمة**، يقول فيها:

[... نزل (المسيح) إلى الجحيم بنفس عاقلة، أخذها من الطَّبيعة البشريَّة، ووحَّدها مع طبيعته الإلهيَّة، **وكرز لكلِّ الأرواح التي أمسكها الموت في ذاك الموضع، بسبب التَّعدي الأوَّل الذي لصق بجنسنا، بسبب الخطيئة**. فضلاً عن أنه هيأ لنفسه المواضع السُّفليَّة، صائراً واحداً مع النَّفْس البشريَّة، مشابهاً للنُّفوس التي تسكن هناك بدون أجسادها. ولكن نفسه كانت للإله الحقيقي، كاسراً شوكة الموت، ساحقاً إيَّاها، تلك التي وخزت البشريَّة. وحطَّم الشيطان الذي امتلك سُلطان الموت، وقيَّده، وسلَّمه ليد كلِّ إنسان سيجرِّبه الشيطان. **وسبى الجحيم، وأخرج منه كلَّ النُّفوس التي رقدت حتى نزوله إلى هناك. وخلَّصهم من قبضة الموت والجحيم، ورفعهم معه إلى العُلو**].

هذا هو موجز ما نسمعه في الكنيسة عن نزول المسيح إلى الجحيم، وكرازته فيه بالخلاص والنَّجاة، وتحرير النُّفوس التي قبض عليها الموت.

إنَّ أوَّل حدث نتقابل معه في العهد الجديد، عن **خروج ميِّت من أعماق الجحيم**، هو عندما وقف الرَّب يسوع أمام قبر لعازر الذي كان قد مات قبل أربعة أيام، وصرخ بصوت عظيم «لعازر هلمَّ خارجاً»، فعادت نفس الميِّت من الجحيم، واتَّحدت بجسده، فخرج الميِّت من القبر، ملفوفاً بأكفانه! فانذهل الجميع، إذ لم يعاينوا قط مثل هذا من قبل.

وهكذا عادت نفْس الميت من أعماق الجحيم بصوت ابن الله. وكان يمكن للرَّب وهو أمام الموتى في قبورهم، أن ينادي بذات الصَّوت ''هلمُّوا خارجاً'' فيخرج الأموات من قبورهم كما خرج لعازر، ولكن الرَّبَّ اختصَّ لعازر وحده بالنِّداء، مرجئاً نداءه بالخلاص والنَّجاة لكلِّ من يقبل من الموتى، عندما ينزل إليهم في الجحيم بالصَّليب.

وإن كان الرَّب قد فعل هذا قبل موت الصَّليب، فلماذا الصَّليبُ إذاً؟

والإجابة تكمُن في أنَّ الهدف الأساسي الذي كان نصب عيني الرَّب، **ليس فقط هو إخراج النُّفوس من الجحيم، بل وأيضاً الكرازة لهم بالفداء وقبول الإيمان به، قبل خروجهم**. أمَّا لعازر فكان يعرف المسيح له المجد، بل وعايشه ويؤمن به، هو وأختاه أيضاً مرثا ومريم.

هذا الحَدَث يُثبت لنا سُلطانُ الرَّب على الجحيم، بكُلِّ متاريسه النُّحاسيَّة، وقوَّات الظُّلمة المحدقة به. وسُلطانه الإلهي على النُّفوس المحبوسة فيه، **حتى قبل أن يجتاز الصَّليب**.

نزول المسيح إلى الجحيم في فكر آباء الكنيسة

والآن علينا أن نبحث في فكر آباء الكنيسة بخصوص هذا الأمر، وذلك على ضوء النُّصوص الكتابيَّة، والنصوص اللِّيتورجيَّة السَّابق ذكرها.

يذكر **هرماس**، في كتابه ''الرَّاعي''[١]، بأنَّ الرُّسُل والتَّلاميذ قد ذهبوا هم أيضاً ليكرزوا في الجحيم، ويمنحوا المعموديَّة لأولئك الذين ماتوا قبلهم[٢].

ويرى العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، ومعه العلاَّمة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) أنَّ المسيح نزل إلى الجحيم، ليكرز فيه بالخلاص للذين يقبلون التَّوبة.

فيقول **العلاَّمة كليمندس الإسكندري**، إنَّ المسيح قد ذهب إلى الجحيم ليكرز هناك بالإنجيل، وكان يخاطب الموتى فيه داعياً إيَّاهم إلى التَّوبة، كما سبق ودعا للتَّوبة الأحياء الذين على الأرض، وأنَّ الرَّب كرز بنفسه لنفوس العبرانيِّين (!) الذين كانوا في الجحيم، **ثمَّ نزل الرُّسُل أيضاً إلى الجحيم (بعد استشهادهم طبعاً) ليكرزوا لنفوس الذين من الأُمم**[٣]. ويذكر أيضاً أنَّ الأرواح التي في السِّجن، لم ترَ هيأته، ولكنَّها سمعت صوته[٤].

أمَّا **العلاَّمة أوريجانوس** فيقول إنه كما يذهب الأطباء إلى منازل المرضى، فالمسيح قد ذهب إلى الجحيم من أجل خلاص الخطأة[٥]. ويُشير إلى ما ورد في رسالة القدِّيس بطرس الرَّسول الأولى (١بط ٣:١٩)، والتي تذكُر أنَّ **نفْس المسيح قد ذهبت وخاطبت نفوس الذين في الجحيم، وغيَّرت نفوس الذين قبلوه**[٦]. كما تكلَّم العلاَّمة أوريجانوس أيضاً عن التَّبشير في الجحيم، في شرحه لإنجيل القدِّيس يوحنَّا[٧].

وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ العلاَّمة أوريجانوس وحده[٨] كان يؤمن بفكرة الخلاص الشَّامل أو الخلاص الجماعي الذي تمَّ بواسطة المسيح عند نزوله إلى الجحيم، وذلك دوناً عن جميع آباء الكنيسة.

ويتحدَّث **القدِّيس إبيفانيوس** (٣١٥-٤٠٣م) في عظته على سبت الفرح، عن كرازة يوحنَّا المعمدان بالمسيح في الجحيم، فيقول:

١- ''هرماس'' هو أحد رُعاة كنيسة روما، وقد ألَّف كتابه المعروف باسم ''الرَّاعي''، فيما بين سنة ١٤٠م وسنة ١٥٠م، في الوَقت الذي كان فيه شقيقه البابا بيوس الأوَّل يدير شؤون الكنيسة. وقد لاقى كتاب ''الرَّاعي'' لهرماس رواجاً كبيراً، بل ومنقطع النَّظير، في الكنيسة الأولى. إذ أنَّ إيريناؤس وترتليانوس وكليمندس الإسكندري وأوريجانوس، كانوا يضعونه في مستوى الكُتُب المقدَّسة. وقد ذكر يوسابيوس أنَّ كتاب ''الرَّاعي''، يُتلى في بعض الكنائس، ويُستخدم في تعليم الموعوظين، أو طالبي العماد.

2- Lib. III, Simil., IX, xvi, 5, PG., t. ii, col. 995-996

الكتاب الثَّالث، التشبيه التَّاسع، الفقرة ١٦

3- *Stromates*, vi, 6, PG., t.ix, col. 265-276 ; Cf. ii, 9, PG., t.viii, col. 980.

4- *Ancient Christian Commentary on Scripture*, op. cit., p. 107.

5- *In libre Regum, hom*. ii,, PG., t. xii, col. 1025.

6- *Contra Celsum,* ii, 43, PG., t. xi, col. 865.

7- *GCS* 10, fragment lxxix, t. iv, p. 546.

8- *Haer*., LXIX, lxii, PG., T. XLII, COL. 305-308.

[... هناك أيضاً ذلك الفائق يوحنَّا، الأعظم من كلِّ الأنبياء، جالساً في ظُلمة الجحيم، كما لو كان في رحم أُمِّه المظلم (قبل ولادته) **يكرز بالمسيح لكلِّ الذين في الجحيم**، وهو السَّابق والكارز للأحياء والأموات معاً. **وعندما قُطعت رأسه، أُرسل من سجن هيرودس إلى سجن الجحيم، إلى الأبرار والمظلومين الرَّاقدين منذ الدُّهور**][٩].

ولاحظ هنا أنَّ الأحداث التي واكبت ظهور المسيح على الأرض، وكرازته بالخلاص للأحياء، تكرَّرت هي تقريباً للأموات الذين في الجحيم. **فللأحياء كانت الكرازة قَبْل الصَّليب، وللأموات كانت الكرازة لهم من قِبَل الصَّليب**، لكي يشمل الخلاص بالصَّليب، كلَّ من يَقْبَل من الأحياء والأموات معاً.

ويذكر **القدِّيس كيرلُّس الكبير** عامود الدِّين (٤١٢-٤٤٤م) في شرحه لرسالة بطرس الرَّسول الأولى (٣:١٨-٢٠)، أنَّ النُّفوس التي آمنت به فقط هي التي خَلَصَت. فيقول:

[إنه (أي القدِّيس بطرس الرَّسول) ينقض بذلك (أي بهذه الآيات) اعتراض القائلين: إن كان التَّجسُّد مفيداً إلى هذا الحد، فلماذا لم يتجسَّد المسيح منذ زمان كثير؟ هوذا «قد ذهب فكرز للأرواح التي في السِّجن» **لكي يحرِّر كلَّ الذين كانوا سيؤمنون به لو كان قد ظهر في زمانهم متجسِّداً للذين على الأرض**. فهؤلاء تعرَّفوا عليه جيِّداً لمَّا ظهر لهم في المواضع السُّفليَّة، وانتفعوا من ظهوره. فقد مضى المسيح بالنَّفْس، وكرز للذين في الجحيم، **ظاهراً كنفْس مع النُّفوس**.

وعندما رآه بوابو الجحيم هربوا، وتكسَّرت الأبواب النُّحاسيَّة، وانفكَّت السَّلاسل الحديديَّة. وصرخ الابن الوحيد بسُلطانه إلى كلِّ النُّفوس التي صار شريكاً لها في الآلام بحسب التَّدبير، قائلاً للمقيَّدين بالسَّلاسل 'اخرجوا'، وللذين في الظُّلمة 'اظهروا'.

وبكلمات أُخرى، فقد كرز المسيح لأولئك الذين في الجحيم أيضاً، **لكي يُخلِّص الذين كانوا سيؤمنون به لو كان ظهر لهم متجسِّداً في زمان حياتهم**. فهؤلاء قد تعرَّفوا عليه تماماً حتى وهم في الجحيم. فإنَّ سخاء تدبيره من نحونا، يفوق الطَّبيعة، ويفوق التَّسليم. فكما أنَّ المسيح في ظهوره جسديًّا قد دعا بالسَّويَّة جميع الذين على الأرض، والذين آمنوا انتفعوا؛ هكذا أيضاً بنزوله إلى الجحيم، قد حرَّر من رباطات الموت الذين آمنوا به وعرفوه][١٠].

ويشرح **القدِّيس كيرلُّس الكبير** أمراً مهمًّا أيضاً، يؤكِّد ما سبق ذكره للتَّو، وهو أنَّ كرازة المسيح للذين في الجحيم بالخلاص، لم يستفد منها كلُّ المحبوسين هناك، فيقول في ذلك:

[أمَّا نفوس الذين عبدوا الأصنام، وساروا وراء أهوائهم الفاسدة، فكانت مثل عمياء، بسبب شهواتها الجسديَّة، لا تستطيع أن تنظر إلى إشعاع ظهوره الإلهي، لكي تتعرَّف على الذي ظهر في المواضع السُّفليَّة، لكي يُحرِّر الجميع][١١].

وهؤلاء الذين يذكرهم القدِّيس كيرلُّس في الفقرة السَّابقة، هم الذين ينطبق عليهم قول الإنجيل المقدَّس: «أحبَّ النَّاس الظُّلمة أكثر من النُّور، لأنَّ أعمالهم كانت شريرة» (يوحنَّا ٣: ١٩)، وأيضاً: «أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم» (هوشع ٥: ٤). وهنا ينبغي أن نلاحظ أنَّ الذين قبلوا الخلاص بكرازة المسيح في الجحيم – بحسب فكر القدِّيس كيرلُّس الكبير – لم يكونوا الآباء والأنبياء والصِّدِّيقين من شعب الله وحدهم، **بل وأيضاً الذين عاشوا قبلاً على الأرض حياة صالحة، ولكنَّهم لم يسمعوا عن الإله الحقيقي**.

وإنَّ ما ذكره القدِّيس كيرلُّس الكبير، هو شرح لما يقوله القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، والذي نقرأه في عظة له تُقال في

٩- عظة عن ''سبت الفرح'' للقدِّيس إبيفانيوس أُسقُف قبرص، ترجمة دكتور جوزيف موريس فلتس، الطَّبعة الثَّانية، مارس ٢٠٠٨م، ص ٣٤

10- *Ancient Christian Commentary on Scripture*, op. cit., p. 107 ; Frag. In epist. I Petri, iii, 19, PG., t.lxxiv, col. 1013-1016.

11- J.A. Cramer, ed., *Catena in Epistulas Catholicas*, Oxford, Clarendon, 1840, p. 66. Cited by Ancient Christian Commentary on Scripture, op. cit., p. 108.

السَّاعة الثَّالثة من يوم الجُمعة العظيمة. وقد سبق ذكر جانب منها منذ قليل.

ويتحدَّث **القدِّيس إيريناؤس** (١٣٠-٢٠٠م)، وهو الملقَّب في الكنيسة باسم ''أبو التَّقليد الكنسي''، يتحدَّث عن وجود كرازة في الجحيم، **وغفران للخطايا، للذين سلكوا ببر وتقوى من نحو القريب**.

[... لذلك نزل الرَّب إلى المواضع التي تحت الأرض، ليبشرهم هم أيضاً بمجيئه، وبأنَّ هناك غفراناً للخطايا للذين يؤمنون به. فالذين كانوا ينتظرونه آمنوا به ... الأبرار والأنبياء ورؤساء الآباء][١٢].

ويضيف بقوله، بأنَّ المسيح أتى أيضاً:

[لأجل جميع النَّاس قاطبة، الذين منذ البدء (...) خافوا الرَّب وأحبّوه، **وسلكوا ببر وتقوى من نحو القريب**، وأيضاً اشتهوا أن يروا المسيح، ويسمعوا صوته][١٣].

وهكذا يتَّفق القدِّيس إيريناؤس مع القدِّيس كيرلُّس الكبير. إلاَّ أنَّه وإن كان تعليم القدِّيس كيرلُّس الكبير في هذا الموضوع، أكثر عمقاً ووضوحاً، لكنَّه لم يتحدَّث عن كيفيَّة خلاص الذين ماتوا على مدى القرون التَّالية بعد صعود المسيح إلى السَّماء، و لم يكونوا قد سمعوا عنه.

ويرى القدِّيس **غريغوريوس النَّزينزي** (٣٢٩-٣٨٩م) - وهو القدِّيس غريغوريوس اللاَّهوتي - أنَّ المسيح في الجحيم قد خلَّص كلَّ النُّفوس المحبوسة فيه، والتي آمنت به[١٤].

فيقول مثلاً:

[لقد نزل إلى الجحيم، ولكنَّه رفع النُّفوس التي فيه وصعد بها إلى السَّماء!] (عظة ٢٠:٢٩).

ويتَّفق **القدِّيس إبيفانيوس** (٣١٥-٤٠٣م)، في تعليمه عن هذا الموضوع، مع جميع الآباء المذكورين، فيقول في عظة له على سبت الفَرَح:

[... فكَّ المسيح الرِّباطات الأزليَّة، وعتق الغرباء والمخالفين ... اليَوم تمَّ الخلاص من ناحيتَين؛ للذين هم على الأرض، وللذين هم - منذ الدَّهر - **تحت الأرض**. اليَوم خلاص العالم بأسره؛ المنظور وغير المنظور ... **نزل الإله من السَّماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى ما تحتها**. أبواب الجحيم تُفتح ... فتهلَّلوا أيها الرَّاقدون منذ الدَّهر، أيها الجالسون في الظُّلمة وظلال الموت، استقبلوا النُّور البهي بفرح ...

ولكن ماذا سيحدُث عندما ينزل المسيح إلى الجحيم؟ أبنزول الإله إلى الجحيم يَخلُص الجميع بدون استثناء؟ لا، لأنه كما على الأرض، هكذا أيضاً هناك، **يُخلِّص الذين آمنوا به** ...

هو لم يقدِّم محبَّته للبشر الذين كانوا يعيشون معه على الأرض فقط، لكن رأفته شملت حتى كلَّ المقيَّدين في الجحيم السُّفلي. هؤلاء الذين كانوا ينتظرون، جالسين في الظُّلمة وظلال الموت. وهكذا افتقد الله الكلمة، بتجسُّده، كلَّ البشر الأحياء بالجسد على الأرض. أمَّا النُّفوس التي ذهبت إلى الجحيم، تاركة أجسادها، فقد افتقدها بنفسه الإلهيَّة بدون جسد، ولكن ليس بدون ألوهيَّته][١٥].

12- *Adv. Haer*. IV, xxii.

13- *Adv. Haer*., IV, xxvii, 2.

14- *Orat*., xlv, 24, PG., t. xxxvi, col. 657.

١٥- عظة عن ''سبت الفرح'' للقدِّيس إبيفانيوس أُسقُف قبرص، مرجع سابق، ص ٢١، ٢٢، ٣٥

تجدر الإشارة إلى أنَّ القدِّيس إبيفانيوس رئيس أساقفة جزيرة قبرص، كان مناصراً قويًّا لتعليم القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي ضدَّ الأريوسيِّين. وقد نجح في عزل كنيسة قبرص عن كنيسة أنطاكية، التي كان معظم آبائها غير مؤيِّدين لمصطلح ''الهوموأوسيوس''، أي مساواة الابن للآب في الجوهر. وغير موافقين آنئذ على قرارات مَجْمَع نيقية.

والقدِّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)، يقول تقريباً بنفس ما يقول به القدِّيس كيرلُّس الكبير، بل ويقتبس من أقواله، ولكن بدون أن يذكر المصدر.

فيقول القدِّيس **ساويرس الأنطاكي**:

[ولكنَّه لم يُنعم بالغفران على جميع المقيَّدين هناك، **ولكن فقط للذين آمنوا به وعرفوه**. فقد عرفه الذين نقّوا شرورهم بالأعمال الصَّالحة في الزَّمن الذي عاشوا فيه بالجسد. لأنه قبل ظهور المسيح للذين تحت الأرض، كان الجميع - بمن فيهم الذين سلكوا في بر - مقيَّدين برباطات الموت، ومنتظرين مجيئه، إذ كان طريق الفردوس مغلقاً لهم، بسبب مخالفة آدم.

وأمَّا أنَّ ليس جميع الذين كانوا في المواضع السُّفليَّة استفادوا من نزول المسيح هناك، فهذا يوضِّحه:

أوَّلاً (μέν) غريغوريوس اللاَّهوتي (٣٢٩-٣٨٩م) في عظته عن الفصح، إذ يُقدِّم المسألة بصفتها جديرة بالبحث، ثمَّ يُعطي لها الحل الصَّحيح بالبُرهان، فيقول:

"... وإن نزلَ إلى الجحيم، انزِلْ معه، واعرفْ أيضاً الأسرار التي هناك، وما هو تدبير ونتيجة نزوله مرَّتَين[١٦]، هل بظهوره يُخلِّص الجميع بلا تمييز، **أم أنه (يخلِّص) هناك أيضاً الذين يؤمنون دون سواهم؟**" (عظة ٤٥: ٢٤).

وثانياً (δέ) إغناطيوس الثِّيؤفورُس[١٧] (٣٥-١٠٧م) والشَّهيد، الذي يقول:

"كيف نستطيع نحن أن نحيا بدون ذاك الذي كان الأنبياء - وهم متعلِّمون من الرُّوح القُدُس - ينتظرونه كمعلِّم؟ ولذلك فالذي كانوا ينتظرونه بصدق، لَمَّا ظهر، أقامهم من بين الأموات" (إلى مغنيسيا ٩: ٢)

وبالاختصار[١٨]، **كما أنَّ المسيح ظهر بالسَّويَّة لكلِّ من على الأرض، والذين آمنوا به انتفعوا؛ كذلك بنزوله إلى الجحيم قد حرَّر من رباطات الموت الذين آمنوا به وتعرَّفوا عليه**. وأمَّا نفوس عبدة الأوثان والذين عاشوا في البَطَر والسُّكْر وأعمال العهارة المحرَّمة، فبسبب شهواتها الجسديَّة، تكون مثل عمياء، فلا تحتمل إشعاعات ظهوره الإلهي، لكي تتعرَّف بصدق على الذي ظهر في المواضع السُّفليَّة لكي يحرِّر الجميع - على قدر ما هذا يرجع إليه - ويكرز للكُل علانيةً ...][١٩].

ويقارن **القدِّيس يوحنَّا الدِّمشقي** (٦٧٥-٧٤٩م) بين كرازة المخلِّص في الجحيم، وكرازته على الأرض، قائلاً بأنَّ [الأموات لم يكونوا أقل حظًّا من الأحياء][٢٠]، إذ نالوا الخلاص بعيداً عن بر العهد القديم، إلاَّ أنَّ هذا الخلاص، كان فقط لأولئك الذين عاشوا حياة طاهرة نقيَّة على الأرض[٢١].

وهو الفكر الذي يسير على نفس نهج تعليم القدِّيس إيريناؤس، والقديس كيرلُّس الكبير، حينما ذكر هذا الأخير أنَّ الذين استعُبدوا لشهواتهم كانوا كمثل عميان، لم يقدروا أن يقبلوا المسيح، ليخلُصوا. وأظنُّ، أنه في ذلك الأمر، يتَّفق غالبية الآباء.

ويدْعَم هذا الرأي ما يقوله **ثيؤفيلاكتوس** Theophylact (القرن الحادي عشر) الذي يقول: إنَّ المسيح قد كرز في الجحيم، ولكن الذين نالوا الخلاص، هم أولئك الذين عاشوا على الأرض حياة فاضلة[٢٢].

وهنا يلزمنا أن نتوقَّف قليلاً، لكي نوضِّح أنَّ جميع الآباء يتَّفقون على وجود كرازة في الجحيم، ولكن بعضهم

١٦- أي نزوله إلى الأرض وإلى ما تحت الأرض.

١٧- أي حامل الإله.

١٨- ما يلي من باقي القول للقدِّيس **ساويرس الأنطاكي**، هو ما يقوله القدِّيس كيرلُّس الكبير عامود الدِّين (٤١٢-٤٤٤م)، كما سبق القول.

19- J.A. Cramer, *op. cit.*, p. 67-68.

20- *De fide orthodoxa*, iii, 29, PG., t. xciv, col. 1101.

21- *De his qui in fide dormierunt*, xiii, PG., t. xcv, col. 257.

22- *Com. In I Pet.*, III, 19, PG., cxxv, col. 1232.

اختصَّها للمباركة والأنبياء والأبرار والصِّدِّيقين من شعب الله فقط، استناداً على إيمانهم السَّابق، إذ ماتوا ولم ينالوا المواعيد، وهو الفكر الذي ساد عند معظم آباء الكنيسة الغربيَّة.

وأمَّا الغالبية العظمى من الآباء، ولاسيَّما الشَّرقيِّين، فقد قالوا بوجود فرصة للخلاص في الجحيم لنفوس الذين عاشوا حياة صالحة على الأرض، حتى للذين لم يكونوا من شعب الله. ومن هؤلاء الآباء، القدِّيس كيرلُّس الكبير عامود الدِّين (٤١٢-٤٤٤م)، والقدِّيس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، والقدِّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م)، ويوحنَّا الدِّمشقي (٦٧٥-٧٤٩م) وغيرهم.

وفي الغرب المسيحي، استلهم **القدِّيس هيلاري** أُسقُف بواتييه من الآباء السَّابقين له، تعليمهم عن هذا الموضوع، وفهمهم لما ورد في رسالة القدِّيس بطرس الرَّسول الأولى (١بط ٣:١٩)، فيقول:

[بحسب شهادة بطرس الرَّسول، لَمَّا نزل الرَّب إلى الجحيم، وعظ كارزاً للذين كانوا في السِّجن، وكانوا قديماً غير مؤمنين في زمن نوح][٢٣].

أمَّا **هيبوليتس** فيسير على نهج اللاَّهوت الغربي الذي يقول بأنَّ المسيح كرز لنفوس القدِّيسين فقط[٢٤]. وهو نفس ما تقول به **الدِّسقوليَّة السِّريانيَّة**، بأنَّ يسوع قد كرز في الجحيم للآباء البطاركة وللقدِّيسين[٢٥].

وفي الغرب أيضاً ضمَّ **فيلاستريوس أُسقُف بريشيا**[٢٦] Philastrius de Brescia (تنيَّح سنة ٣٩٧م) إلى قائمة الهراطقة، كلَّ الذين يقولون بأنَّ المسيح نزل إلى الجحيم، وبشَّر كلَّ النُّفوس، حتى يخلُص كلُّ من يؤمن به، فيقول:

[... وهناك هراطقة آخرون، يقولون إنَّ الرَّب نزل إلى الجحيم، وبشَّر الجميع هناك بعد موتهم، لكي يعترفوا به، فيخلُصوا][٢٧].

وقد أيَّد **القدِّيس أغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠م) رأي فيلاستريوس السَّابق ذكره، وضمَّ - على غراره - إلى الهرطقات، الرأي الذي يقول بإمكانيَّة التَّوبة والخلاص للعُصاة عند نزول المسيح إلى الجحيم! فيقول:

[... وهرطقة أُخرى تقول، إنه لَمَّا نزل المسيح إلى الجحيم، آمن به الذين لم يكونوا يؤمنون به. حيث ترى (هذه الهرطقة) أنَّ جميعهم حينئذ خَلَصوا][٢٨].

وأدان البابا **غريغوريوس الكبير** (+٦٠٤م) رأي الشمَّاس ثيؤدور والقس جورجيوس، الممثلين لبطريرك القُسطنطينيَّة، واللَّذان قالا بأنَّ المسيح في الجحيم خلَّص كلَّ من اعترف بألوهيَّته، فيقول:

[... (يدَّعون) أنه في الجحيم قد خلَّص جميع الذين اعترفوا به كإله، ونجَّاهم من العذابات المستوجَبة عليهم].

وهكذا يُحدُّ الفكر الغربي من إمكانيَّة الخلاص في الجحيم، ويُقصره على أبرار العهد القديم.

ويرى هذا الفكر الغربي أنَّ الفقرتَين اللَّتَين وردتا في رسالة القدِّيس بطرس الرَّسول الأولى، لا وجود فيهما للتَّوبة في الجحيم. أمَّا عن لفظة "الكرازة" في الجحيم، والتي يمثِّلها الفعل اليوناني εὐηγγελίσθη وأيضاً الفعل اليوناني ἐκήρυξεν فيجب أن تُفهم بمعنى **الإعلان بالخروج من الجحيم**. كما يجب أن نعرف أيضاً أنَّ النَّص الكتابي الذي نحن بصدده، هو نصٌّ

23- *Tract. In Psal*. cxviii, xi, 3, PL., t. ix, col. 572, 563.

24- *De Christo et antichristo*, xxvi, PG., t. x, col. 748.

25- xxvi, *Texte und Untersuchungen*, N.F., t. x, 2, p. 145.

٢٦- بريشيا هي مقاطعة في إيطاليا. وقد تقابل الأسقف فيلاستريوس مع القدِّيس أغسطينوس في ميلان سنة ٣٨٣م. وقام بتأليف كتالوج أو فهرس لحصر الهرطقات سنة ٣٨٤م.

27- *Liber de haeresibus*, cxxv, PL., T. XII, col. 1250-1251.

28- *De haeresibus*, lxxix, PL., t. xlii, col. 4.

لم يحدِّد به القدِّيس بطرس المعنى المقصود بالضَّبط. ومن ثمَّ فمن السَّهل الاختلاف في تفسيره.

• والخلاصة التي يدور حولها الفكر الغربي في هذا الموضوع هي أنَّ كرازة المسيح في الجحيم، لم تكن تعني تحويل غير المؤمنين إلى الإيمان، بل تبكيت قلَّة إيمانهم. لأنَّ هذه الكرازة المقدَّسة، لا يمكن أن تعني سوى استعلان لاهوته، الذي استُعلن للكائنين في الجحيم بنزوله العجيب إلى هناك.

وأمَّا عن **القدِّيس أغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠م)، فحينما سأله **الأُسقُف إفوديوس** Evodius من هُم الأرواح التي – بحسب القدِّيس بطرس الرَّسول – قد افتقدها المسيح في السِّجن، وبشَّرها؟ وكان إفوديوس يظنُّ بأنَّ المسيح قد خلَّص جميع الأرواح التي كانت في السِّجن، حتى أنَّ الجحيم أصبح فارغاً. وهو ما لم يوافقه عليه القدِّيس أغسطينوس، إذ رأى أنَّ هذا الشَّرح يؤدي إلى الوقوع في مشكلة. فيتساءل القدِّيس أغسطينوس قائلاً: **لماذا قصر بطرس الرَّسول نزول المسيح إلى الجحيم، وبشارته هناك، على الذين عصوا أيام الطُّوفان، أي المعاصرين لنوح، وليس على الجميع؟ وإذا كان قد بشَّر الجميع، لكي يعرف الجميع الإنجيل، أفلا يجب أيضاً أنَّ كلَّ الذين ماتوا بعد مجيئه بدون أن يعرفوه، أن يُبشَّروا هم أيضاً بالإنجيل، ويتغيَّروا؟ وهذا الرأي – بحسب اعتقاد القدِّيس أغسطينوس – مرفوض ومضاد للإيمان**[٢٩].

وبسبب هذه المصاعب التي يراها أغسطينوس في شرح آية القدِّيس بطرس الرَّسول، اعتقدَ أنَّ الكرازة المقصودة، ليست هي كرازة المسيح في الجحيم، بل كرازته للعصاة في أيام نوح. وقد قيل عن أرواحهم إنها في ''سجن''، لأنها كانت تقبع في غياهب الظُّلمة والجهل. فالمرتِّل حينما قال: «أخرج من الأسر نفسي، لتعترف لاسمك» (مزمور ١٤١ :٨)، ألم يكن يتكلَّم عن سجن نفسه هو، وليس عن سجن الجحيم؟ لأنه منذ القديم، كان الله الكلمة يُستعلَن للإنسان، فالذي تحدَّث مع آدم وحواء، والذي كلَّم قايين، هو نفسه الذي تكلَّم مع جيل الطُّوفان من بعدهم.

فيرى القدِّيس أغسطينوس، أنه يمكننا هنا أن نأخذ ما ورد في هذه الآيات السَّابقة بالمعنى الرُّوحي، وليس الحرفي، فيقول:

[لا يترتَّب على ذلك بالضَّرورة أننا ينبغي أن نفهم أنَّ المقصود هنا هو الموتى الذين خرجوا من الجسد. فالأموات هُم غير المؤمنين، وذلك بحسب ما ورد في إنجيل القدِّيس متى «دع الموتى يدفنون موتاهم» (متى ٨ :٢٢)، أو ما ورد في إنجيل القدِّيس يوحنَّا «تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسَّامعون يحيون» (يوحنَّا ٥ :٢٥)][٣٠].

إلاَّ أنَّ شرح القدِّيس أغسطينوس، يُحمِّل بشدَّة على معاني الكلمات، وعلى مضمون الآيات. لأنَّ دينونة الأحياء والأموات لا تعني أبداً دينونة الأبرار وغير الأبرار، فالرِّسالة للعصاة في السِّجن، لا يمكن أن تؤخذ على أنها استعلان الكلمة في حقبة نوح، ولكنَّها تعني في الحقيقة نزول نفس المسيح إلى الجحيم بعد موته. ففي (١بطرس ٣ :١٨) تكلَّم عن الموت الفدائي ليسوع، وفي (١بطرس ٣ :٢١، ٢٢) تكلَّم عن قيامته وصعوده إلى السَّماء، وجلوسه عن يمين أبيه. وعلى ذلك فإنَّ حديثه عن الزِّيارة في السِّجن، والذي يقع بين هذَين الحدثَين، لا يمكن توصيفه إلاَّ بأنه النُّزول إلى الجحيم. وفي الآيتين ١٨، ١٩ فإنَّ الكلمتَين πνεύματι و ἐν ᾧ تعنيان ''نفس'' المسيح، تمييزاً لها عن جسده، ولا يمكن أن تكون متعلِّقة بالكلمة غير المتجسِّد.

إنَّ شرح القدِّيس أُغسطينوس ظلَّ مقبولاً من الجميع في الغرب حتى القرن السَّادس عشر الميلادي، ولكنَّه لم يكن معروفاً في الشَّرق.

• ويوجز الأنبا أنطونيوس الأمر كلَّه، في مستهل رسالته الثَّامنة عشرة، فيقول:

[اعلموا، يا أولادي الأحباء، أنه من البدء، لما حادت النَّفس عن الوصيَّة، حصلت المخالفة. وبتلك المخالفة

29- *Ep.*, clxiii, PL., xxxiii, col. 708.

30- *Ep.*, clxiv, PL., t. xxxiii, col. 709-718.

صارت جميع النُّفوس يُمضَى بها إلى الجحيم، كما قال الرَّسول: "إنه بآدم الأوَّل كان الموت" (١كورنثوس ١٥:٢١-٢٢). وتحنَّنَ الإله الكلمة، وتجسَّد منَّا بسرٍّ لا يُدرَك، وأكمل كلَّ التَّدبير لخلاصنا. **فنزل إلى الجحيم وسباه سبياً واجتذب منه كلَّ النفوس المحبوسة فيه، وخلَّصها من سلطان الشيطان. وحفظ بأمره – لا بسلطان الشيطان – غير المطيعين في الظلمة، إلى يوم الحُكم الرَّهيب. وأصعد الذين بإرادتهم قد أطاعوا وسمعوا وعملوا بالأوامر الإلهيَّة، إلى السماء حيث الفردوس.** وقد كان سبب إصعادهم إلى السَّماء هو تلك النَّار غير المرئيَّة، التي هي حرارة الأعمال الصَّالحة، التي اشتعلت في قلوبهم ... **فلا تدعوا قوَّة هذه النَّار تُنزع منكم. لأنَّ حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان بسبب هذه النَّار المُعطاة لكم من الرَّب، لكي ينزعها منكم. لأنه يعلم أنه لا قوَّة له عليكم، ما دامت هذه النَّار معكم وفيكم** ... فهذه هي صناعته دائماً؛ أن يقاوم بكلِّ قوَّته كلَّ النُّفوس المتعبِّدة لله تعبُّداً حسناً. وهو يُلقى بأوجاع كثيرة مختلفة في النَّفْس **ليطفئ تلك النَّار التي تقيم الفضيلة فيها**] (الرِّسالة ١:١٨، ٢، ٣).

ويقول الأنبا أنطونيوس أيضاً:

[انظروا، يا أولادي الأحباء، إلى محبَّة الله الكلمة، أنه أصعدنا من هوَّة الجحيم إلى أعلى السَّموات. لأنَّ السَّماء العُليا غيرُ السَّماء المرئيَّة، غير الجو الذى هو الهواء الذى يهبُّ بخفَّته، وجو الهواء غير هذه الأرض الكثيفة التي نحن كائنون الآن فيها، وعمَّا قليل ننتقل منها. واعلموا أنَّ أعمال السَّماء هي غير أعمال الأرض، **وأنَّ ثمَّ صقع آخر أثقل من هذه الأرض الكثيفة، صعبٌ جداً ومُظلم، وليس فيه شيء من النُّور ولا راحة، وهو الذى يُدعى الجحيم.** فالتّجربة التي أتت عليَّ أخيرًا، يا أولادي، كادت أن توصلني إلى الجحيم بعينه. لأنَّ أعداء الخير أرادوا أن يلقوني فيه بكثرة تحيُّلهم؛ وعن هذا كان تعبى وجهادى وضيقتي واضطرابي. لكنى، أنا المسكين، أشكر إلهى وأمجِّده، هذا الذى أنا أخدمه بكلِّ قلبي من صِغرى إلى الآن وأسمع له، لأنه لم يتخلَّ عنى بل عضَّدني وخلَّصني من ظُلمة الأعداء، وردَّني إلى رِفعتي الأولى مرَّة أُخرى، كما خلَّص آدم وأولاده الصَّالحين وردَّهم إلى رُتبتهم الأولى. لأنه مكتوب: «صعد إلى العلا وسبى سبياً وأعطى النَّاس مواهب» (مزمور ٦٧:١٩، أفسس ٤:٨)] (الرِّسالة ١٩:٦).

كاتدرائيَّة بريشيا Brescia في إيطاليا وتتبع كنسيًّا إيبارشية ميلان